

المستوى: السنة الأولى ماستر تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

الأستاذ: سليمان يوسف

مقياس: تاريخ مملكة الأشانتي وبوغندا

1- مملكة الأشانتي

المحاضرة الثالثة:

التنظيم الاجتماعي لمملكة الأشانتي:

تأثرت قبيلة الأشانتي اجتماعيا، وثقافيا بالظروف الاقتصادية؛ حيث لعبت هذه الظروف دورا أساسيا في تكوين مجتمع الأشانتي، وهذا بحكم انعزالهم، ووقوعهم وسط الغابات فراحت الحاجة للغذاء، وكذا السيطرة على بعض الثروات الطبيعية والطرق التجارية تشكل مجتمع فرض عاداته وتقاليده لفترة من الزمن بل وبقيت حتى اليوم.

ويفسر مجتمع الأشانتي بأنه مجموعة من الناس يقومون في منطقة جغرافية محددة يشتركون معا في الأنشطة السياسية والاقتصادية يكونون فيما بينهم وحدة اجتماعية ذات حكم ذاتي أساسه القوانين العرفية المتعارف عليها فيما بينهم، والتي تتحكم في القيم والسلوك العامة بين أفراد القبيلة، وكذا القبائل المجاورة لها.

وأهم مميزات الحياة الاجتماعية في مملكة الأشانتي هو البناء الاجتماعي المتمثل في الأسرة، العشيرة، القبيلة.

1: الأسرة: هي النواة الأساسية والأولى عند مجتمع الأشانتي ، والأسرة عندهم نوعان: الأسرة المكونة من الزوج، والزوجة والأبناء، وهي الأسرة العادية، أو البسيطة، وهناك العائلة المركبة، وهي التي يتزوج فيها الزوج أكثر من زوجة وأنجب منهم أبناء.

والعائلة المركبة لا تظهر فقط في تعدد الزوجات، وإنما في وجود الإخوة الأشقاء؛ أي الذين ينحدرون من نفس الأب ولكن بأمهات مختلفات، والأم في الحياة الأشانتي ذات مكانة هامة فهي قاعدة الوراثة عن طريق ما تمنحه الأم للولد من الدم المعروف بـ الموغيا (mugya)، كما أنه يرثها لأن نظام الوراثة أموي.

ومن جهة الأب يحتل المركز الثاني في الأسرة عند الأشانتي، والأب يمنح الولد 'الروح' التي تعرف عندهم بـ النوترو (Notro)، وبذلك كل شخص من الأشانتي ينتمي إلى مجموعة من ناحية أمه، ومجموعة من ناحية أبيه، ويعتقدون أن المرء يرث دمه، وجسمه

من أمه، ويرث الروح التي تمثل الشخصية من أبيه التي تمتاز بالرافة ، والجرأة، والشجاعة، وبذلك فسر سكان الأشانتي انتماءهم للنظام الأموي، والأبوي في آن واحد.

2: العشيرة: هي عبارة عن اتحاد أربع أو خمس مجموعات مختلفة من الأسر لها رئيس واحد معترف به من قبل الجميع، وأهم العشائر عند الأشانتي هي الأيوكو (Oyoko)، واعترف الأشانتي بوجود نوعين من العشائر التي تعرف في لغة الأشانتي بـ Abusua، عشائر أموية، وعشائر أبوية.

والعشائر الأموية تقوم على أساس الدم الذي يعتقدون أنه ينتقل عن طريق الإناث فقط، بينما تقوم العشائر الأبوية على أساس الروح والتي تنتقل عن طريق الذكور، وتنتقل السلطة والثروة عند الأشانتي في خط النساء، وتتمتع العشيرة الأموية بمركز أعلى من الأبوية.

3: القبيلة: تتكون الهيئة الاجتماعية في القبيلة من الموتى والأحياء جميعاً على أساس تبادل الخدمات والمنفعة بينهم، فالموتى هم الرؤساء الفعليون في الأسرة، والقبيلة، وهم القوامون على استمرار مراعاة التقاليد، والمراقبون لسلوك ذرياتهم من الأحياء، ولهم حق الثواب، والعقاب؛ إذ هم تمسكوا بالعادات أم حادو عنها، وبذلك أصبح للأجداد النفوذ الكامل في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد القبيلة، ولكل ذنب أو مخالفة عقوبة مقررة يعرفها الجميع، ويخضعون لها، وبذلك يصبح التماسك الاجتماعي، ومراعاة النظام، والاشتراك في الحياة العامة، وحفلاتها الدينية، وتبادل الاحترام كلها فروض مكفولة وميسورة بسلطان القوى العليا التي تسهر على دائماً على التمسك بالتقاليد، وأقصى ما يصيب الفرد من عقوبات أن يطرد من الهيئة الاجتماعية للقبيلة إذ أحل بنظمها.

ويأتي في مرتبة الموتى الجد الأعلى للأسرة ثم ذريته حسب أسبقيتهم في الوفاة، ليأتي بعد هؤلاء الموتى الأحياء على الترتيب التالي:

رب الأسرة: وهو أكبر الأسرة سناً ورئيسها، وهو الوسيط بين الأحياء والأموات، ويليه في المرتبة الشيخ، ثم الكهول من الرجال، ثم الشباب، الأطفال.

طبقات المجتمع:

يعد شعب الأشانتي شعباً مستقراً متكاملًا تجمعه وحدة متماسكة تتكون من ثلاث طبقات، وهي طبقة الملكية وكبار رجال المملكة، طبقة المواطنين الأحرار، طبقة العبيد، إلى جانب عناصر أخرى كالمسلون، والأوروبيون فيما بعد.

1- الطبقة المأكية، وكبار رجال المملكة: وتجمع هذه الطبقة الأسرة الملكية، وعلى أسها الملك، وأفراد أسرته المالكة، التي وصلت إلى مكانة كبيرة كونهم ينتسبون إلى الأسرة

المالكة، كما تظم طبقة كبار قادة الجيش، رؤساء المقاطعات، التابعة للمملكة، الزعماء المحليين، واحتفظت هذه الطبقة بسلطاتها السياسية، والاجتماعية، وحتى الاقتصادية.

2- **طبقة المواطنين الأحرار:** وهم المواطنون الذين ولدوا من أمهات أحرار، وتظم هذه الطبقة الكهنة، والعرافون، العمال المزارعين، التجار، الحرفيون، والجنود.

3- **العبيد:** وهم الذين ولدوا من أمهات أرقاء، ومعظمهم مسخرون لخدمة المملكة واسايدهم.

4- الأجناب:

أ/ **الأوروبيون:** هم التجار الذين استقروا في المعازل والحصون الساحلية، وهم من جنسيات مختلفة لكنهم كانوا يترددون كثيرا على المناطق الداخلية قصد الحصول على الرقيق والذهب، وهذا عندما يتوقف الأفارقة (الوسطاء) عن جلب الكميات الكافية منه.

والأشانتي ربطوا علاقات أكثر مع الهولنديين، وهذا بحكم أسبقيتهم في الاستقرار على السواحل، وبداية توغلهم نحو المناطق الداخلية.

ب/ **المسلمون:** خلال فترة توسع مملكة الأشانتي في أوائل القرن التاسع عشر وصل العديد من الأمراء التجار من مدن الهوسا، والبرنو إلى كوماسي، كما أنهم دخلوا في مفاوضات مع الأشانتي على شرط ازدهار التجارة، وقبل 1807 وضع شيخ من كاتسينا نفسه وأتباعه في خدمة ملك الأشانتي خلال غزوه لدولة الفانتي 1807، وفي 1815 وصل شريف من البرنو يدعى الحاج إبراهيم إلى كوماسي صحبة 2 من الأشراف بقي في كوماسي إلى غاية 1818م

العادات والتقاليد: للأشانتي عادات وتقاليد خاصة بها، وكانت معتقداتهم تؤثر تأثيرا مباشرا في حياتهم اليومية، فكانت مثلا بالنسبة للشؤون الصحية عادات خاصة بالمرض، والصحة في غياب المعرفة العلمية عن المرض وأسبابه، فتنتشر بينهم اعتقادات أن اعتلال الصحة يعود إلى كائنات خارقة فوق الطبيعة مثل الإله، والأسلاف، وأرواح الشياطين أو السحر، حتى علاج الداء في اعتقادهم يستند إلى المعالجة عن طريق هذه الأشياء؛ أي عن طريق نظريات الطب الخارقة.

القضاء والقدر: اعتقد الأشانتي أن الشخص قبل ميلاده مقدر له المرض، وكذلك غضب الأسلاف، والآلهة أحد أسباب المرض، أما المصدر الرئيسي للمرض في اعتقادهم هو السحر الذي يقوم به بعض الأفراد.

والطبيب المعالج عند الأشانتي هو العراف أو رجل الطب وأمامه ثلاث احتمالات إما أن يموت أو يشفى أو يبقى مريضاً، ويحوز العراف شهرة كبيرة إذا استعرض قدرته على هزيمة القوى غير الطبيعية، وإن فشل له مبرراته كعقاب الآلهة للمريض، أو غضب الأسلاف.

الزواج عند الأشانتي: الزواج عند الأشانتي له عاداته وتقاليده الخاصة بهم والنابعة عن حضارتهم وثقافتهم، حيث يتم الزواج في البداية بفترة من المعاشرة الجنسية غير الشرعية يرتضيها كلا الأبوين للرجل والمرأة، ويُعترف به كزواج حقيقي، ويأخذ شكل الزواج النهائي حين يقدم العريس زجائتين من الخمر عن طريق رئيس عشيرته إلى رئيس عشيرة العروس في حضور جمع من الأسرتين والعشيرتين، وهو بمثابة مهر يسمى (Terenoa) ويلزم الزوج بتوفير الطعام والملبس والمسكن للزوجة ورعايتها، ويقدم العريس هدية لأُم العروس وأخواتها، كما تقدم العروس هدية نقدية عندما تذهب لبيت زوجها لأول مرة، ويعد لها عشاء فاخر، ولا ترد الهدايا إذا ما تم الطلاق، ويدفع الزوج جزء من المال يسمى Tiresake، وهو فرض عن الفترة التي قضتها الزوجة مع زوجها في خدمته ورعايته .

ومن محرمات الزواج عند الأشانتي أنهم لا يتزوجون من أصولهم أو فروعهم كإبنة الأخت، أو بنت بنت الأخت، بنت الأخ، بنت العمّة، بنت أخ الوالد، بنت الخالة.

النسل والإنجاب: اعتقد الأشانتي أن نسل الطفل ينقسم إلى ثلاثة أقسام جزء عن طريق المرأة أي الدم وهو 'الموغيا'، والآخر عن طريق الأب أي 'النوترو' وهو الروح والشخصية ، ويعتقدون أن الجزء الثالث يمنحه الله للطفل وهو الحياة ، وأن الروح جزء من من الله وأنها تمد الإنسان بالضمير، ويعتبر عقم الرجل أو المرأة عار وخزي عندهم.

ويتكون اسم الطفل من جزأين، الأول اسم الروح وهو اسم الإله الذي يصاحب اسمه الثاني، ويسمى الطفل في صباح اليوم السابع حيث تقام فيه احتفالية تلبس فيه المرأة ملابس بيضاء وحلي من فضة.

عادات الأشانتي في اللباس: تتألف الزينة الرئيسية للنساء من من مجكوعة خرز الوسط التي تعرف بـ أتاما ATAMA حيث يلف ذلك الخرز حول الفتاة بعد ولادتها بفترة قصيرة، وغالبا ما يكون قبل بلوغها أي قبل فترة Natata، وعندما تصل البنت فترة سن السادسة ترتدي شريطا من القماش لونه أحمر تغطي به جسمها وفي سن الثامنة ترتدي فستان أول نه يغطيها أكثر تخيطه لها والدتها، ومن جهتهم الذكور كذلك يرتدون ألبسة تغطي عوراتهم إلى أن يصبحوا رجالا، وفي أوقات الحرب يلبسون ثيابا أكثر غلظة مصنوعة من جلود الحيوانات حتى تقيهم مما قد يصيبهم.

المعتقدات الدينية لدى الأشانتي:

الديانات الأصلية (الوثنية): يعتقد الأشانتي في عباداتهم بوجود إله أعظم خالق السموات والأرض ثم ارتفع إلى السماء بعد أن كررت امرأة إلقاء اللوم وهي تصنع غذاءها، وإلى جانب الإله ال:بر توجد سبعة آلهة صغيرة منهم: آدوو، أكو، أود، أمن....وهم يعملون في حاشية الإله الأعظم، وهم قائمون على العمل طوال الأسبوع، والفكر السائد بينهم هو أن هذا الإله يبعد بعداً شاسعاً عن العالم بحيث يصعب على الناس الاتصال به.

الإله الأعظم: يتخذ الإله الأعظم اسم 'نانا' Nana عند الأشانتي وهم يقدسونه على أنه أزلي خالق الكون، ويعتقدون أن له أهمية في تصريف شؤون الدنيا ولهم معابد قليلة له تتخذ على شكل أسطوانة من الطين ذات شعب ثلاث تسمى شجرة الله.

الآلهة الصغرى: يعتقد الأشانتيون أن هناك آلهة ثانوية بجانب الإله الأعظم، وهم مائون يرمز لهم بأحواض من نحاس، وهم أرباب صغيرة سبعة بعدد أيام الأسبوع، ويختص كل إله بحماية موالي يومه، ويتم التقرب من الآلهة بواسطة الملك أو رئيس القبيلة والأجداد الروحيين الذين عرفوا بالصلاح والشجاعة.

كما اعتقد الأشانتيون بالسلف أو عبادة الملوك السابقون للأشانتي حيث تقام لأرواحهم الحفلات وتقدم القرابين، وأشهر هذه الحفلات هي حفلات أرواح السلف السنوية، ويؤمن الأشانتي أيضاً بتناسخ الأرواح فهم يعتقدون أن أرواح الموتى تخبئ لمدة 40 يوماً تلجأ بعدها إلى Asmande (عالم الأرواح) ثم تسكن جسداً جديداً لتعود إلى الحياة على الأرض في صورة أخرى، وعليه فالحياة في فلسفتهم هي عبارة عن دورة مستمرة؛ أي ولادة، وجود، موت، ثم انتظار الروح لتنتقل مرة أخرى إلى كائن إنساني جديد.

المحاضرة الرابعة

الحياة الاقتصادية للأشانتي:

إن إقتصاد مملكة الأشانتي عموما كان مقسم إلى قسمين، القسم الأول يخص إقتصاد الإكتفاء الذاتي، وهو إقتصاد القرية، ويخص أكثر نظام حيازة الأراضي جماعية مع استبعاد طبقة تملك الأرض، والقسم الثاني يخص التجارة الخارجية سواء مع الممالك القريبة أو مع التجار الاجانب المتواجدين على الساحل

1- إقتصاد الإكتفاء الذاتي: (إقتصاد القرية): كانت الأراضي عند الأشانتي موزعة بالتساوي، ومعظم الأسر تتمتع بحقوق كاملة في الأراضي التي تستخدمها، والأرض هي حق لكل فرد من الإراد المجتمع حتى أن الإيجار يكاد يكون منعدم لاستفادة الكل من الأرض، لكن هذا لا يعني أن الأرض لم تكن لها قيمة أو غير محددة؛ بل كل زعيم قرية مسؤول عن كل أراضي القرية، وبهذا الإجراء استطاع سكان الأشانتي تحقيق اكتفاءهم الغذائي من كل ما يحتاجونه في غذاءهم اليومي، فقد اهتموا بالنشاط الزراعي والصيد، فكان كل من الفول السوداني والأرز، وقصب السكر واليام، والكولا، والذرى، والفول السوداني من أهم المحاصيل التي ينتجها سكان الأشانتي.

كما اهتموا بتربية الحيوانات التي شملت الأغنام، الأبقار، الماعز، الخنازير، الطيور، تربية الدواجن لاستخدامه في التضحيات والعرافين، إلى جانب مهنة الصيد الذي لعب دورا في تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي سواء صيد الأسماك في الأنهار، أو صيد الحيوانات في الغابات.

2- إقتصاد التجارة الخارجية: على غرار ما جاء في كتابات بعض المؤرخين أن الممالك الإفريقية لم تلعب أي دور في التجارة قبل وصول الأوربيين، لكن العكس من ذلك فقد وجدت شبكة كبيرة من الطرق التجارية ربطت الممالك الإفريقية مع بعضها البعض ثم توسعت أكثر مع وصول الأوربيين.

وعليه فقد وصلت إلى الأشانتي قبل وصول الأوربيين عدة منتجات من الشمال خصوصا الملح ، والمنسوجات القطنية، والتي كانت تأتي من شمال إفريقيا ينقلها التجار فتصل إلى الأشانتي، فكانت بذلك السنغاي والهوسا والكانم هي الواسطة بين الشمال وممالك الجنوب.

وما إن وصل البرتغاليون للسواحل حتى تحول جزء كبير من التجارة الخارجية مع الساحل وخصوصا الذهب فحسب إحصائيات المؤرخين خلال القرن الثامن عشر كان البرتغاليون ينقلون نصف طن من الذهب سنويا، حيث جعلوا من الأشانتي الشركاء

التجاربيين الذين يقدمون الثروة للأوربيين مقابل أن يزودهم بالأسلحة وبعض المنتجات الأخرى، وهذا قبل أن يصل الهولنديون ثم البريطانيون فيما بعد.

وبالمقابل كان الأشانتي يتلقى السلع الفاخرة والسلع المصنعة والأسلحة النارية، وبمرور الوقت ووصول كل من الهولنديون، والبريطانيون أقاموا العديد من الحصون التجارية على الساحل حتى وصل العدد إلى ما يقارب 20 حصن كلهم مهتمين بالتجارة مع ممالك ساحل الذهب.

الصناعة: ما أكدته الدلائل الأثرية أم مجتمعات الساحل الغيني وخصوصا الأشانتي بحلول عام 1800 كانوا قد طوروا فنون وحرف صنع الأواني والنحت (على الخشب والعاج) والنسيج والحدادة والسباكة في النحاس الأصفر والأحمر، والذهب.

وصنع الأواني عند الأشانتي يعتبر من أقدم الصناعات حيث يقول 'أنكوانده' في هذا المجال أن صناعة الفخار رفعت إلى مستوى الفنون الجميلة، حيث أنتجوا بعضا من من أحسن نوعيات الأواني الفخارية المتعددة الأشكال المزخرفة بنقوش معقدة مثل أبوزوا، كوروا، وهي عبارة عن قدر كبير تستخدمه عشائر الأشانتي، بالإضافة إلى قدر عظم الفك المعروف بـ 'موجيموجيه'، وهو قدر للنبيد يستخدم لسكب الخمر على الكرسي الذهبي.

ومن جهة أخرى كان النقش والنحت على الخشب والعاج والصلصال قد تطور كثيرا فكان يجري فكان يجري صنع المساند (كراسي بدون ظهر، ولا ذراعين) والبراميل، والمقاييس المدرجة، وقد بلغ النقش على الخشب أوجَه في القرن الثامن عشر كما اشتهروا بصناعة الأبواق العاجية والصور الصلصالية، حيث ينحت الملوك والملكات المتوفين.

كما تطور فن النسيج أيضا، ولسنا ندري بالضبط متى دخل فن صناعة النسيج لكن ما وجد هو أن نسج القماش كان مثل السجاجيد يلبسها الأكان، كما كانوا ينسجون نوع من الألبسة يسمى كاسا، بومو، نسا، وما يزال يعتبرونها من ثقافتهم إلى اليوم وهي أقمشة مزركشة الألوان.

المحاضرة الخامسة

الأسانتي والقوى الأوروبية:

مع منتصف القرن الثامن عشر كان كل العبيد والذهب قد أصبح تحت سيطرة الأسانتي كما أن كل الواردات الأوروبية تمر خلال أسواق الأسانتي، ازدادت أهمية علاقات الأسانتي مع تحالف الفانتي الذي يمثل الجزء الوحيد من الأراضي الساحلية غير الخاضعة للأسانتي، كما كانت الأغلبية من شواطئ الفانتي يمثل مراكز ادارات كل من الشركات الهولندية والبريطانية وقبلهم البرتغالية إلى جانب وجود عدة محطات تجارية بها.

ومع مرور الوقت فشلت التجارة الهولندية في الفانتي بسبب بريطانيا، وقد ساد الاعتقاد أن أحسن سياسة بالنسبة للهولنديين هو أن يطوروا علاقاتهم مع الأسانتي، فكان بذلك أن يرحبوا بهيمنة الأسانتي على الفانتي، ومن ناحية أخرى كان لبريطانيا تجارة كبيرة جدا مع الفانتي لذا أصبح البريطانيون يقومون بدور الحلفاء، ويقومون بحماية الفانتي حتى لا تتعرض للخطر، ومن جهتهم الفانتي كان اهتمامهم متساويا مع اهتمام الأسانتي من خلال السيطرة على التجارة بين الساحل والداخل.

في عام 1805 منح الفانتي الحماية للاجئين من الأسانتي وفي 1806 قام الملك 'أوسي بونسو' بغزو سريع وكامل لأقاليم الفانتي، كما كان الأسانتي قد أحضروا الأسلحة اللازمة لمواجهة البريطانيين عند حصنهم في 'أنومايو' وهكذا فقد بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الأسانتي وصراعهم ضد الأوروبيين.

كما أن البريطانيون اعتقدوا أن منافسيهم من الهولنديون سيكونون أول المستفيدين من توسع الأسانتي لأن الهولنديون أقنعوا الأسانتي أن عدوهم الأول هم البريطانيون، ومن جهتهم اعتبر البريطانيون أن ملوك الأسانتي حكام مستبدون مثل ملوك داهومي لذلك كانوا دائما خائفون من سيطرتهم على الساحل، وبالتالي تضيع مصالحهم بالمنطقة لأن المراكز التجارية الخاصة بالبريطانيين كلها تقع على الساحل.

وبانهزام الفانتي أمام الأسانتي جعل هذه الأخيرة أكبر قوة سياسية في أفريقيا الغربية، وهو ما خشيت منه بريطانيا حفاظا على مصالحها، ويعتبر قرار الحكومة البريطانية لعام 1807 الخاص بإلغاء تجارة الرقيق ضربة كبيرة تلقتها الأسانتي لأن أغلب اقتصادها في هذه الفترة يعتمد على تصدير الرقيق.

موقف بريطانيا من مملكة الأسانتي:

لم تتمكن بريطانيا من إقامة علاقات ودية وسليمة مع مملكة الأسانتي بسبب اصرار الأسانتي على مواصلة الإتجار بتجارة الرقيق رغم القرارات التي أصدرتها بريطانيا، والتي

تمنع تجارة الرقيق، وهو ما جعل البريطانيين يستخدمون أسلوب تقديم المساعدات لسكان الساحل ضد الأشانتي، ومن ثم صار الاحتكاك أمرًا متوقعًا.

هذا وتعود الأسباب الحقيقية للصراع إلى التنافس على قلعة 'المينا'، فقد كان الأشانتي ينظرون إليها أنها الميناء الذي يضمن لهم موارد مستمرة من أسلحة الساحل، ومن جهتهم البريطانيين كانوا دائمًا كذلك يرغبون في السيطرة على الميناء وضم مناطق 'واسين' و'أكيم' و'دنكير'.

كما أن العامل الإقتصادي كان من أهم الأسباب فقد اعتبر التجار البريطانيون أنه إذا تحطمت قوة الأشانتي فإن هذا سيفتح المجال أمامهم للتجارة مع الداخل، وكان وجود الأشانتي عاملا على عدم قدرة البريطانيين على توسيع مجال نفوذهم، من جهة أخرى كان سعي بريطانيا لادخال المسيحية ونشر الحضارة العربية في تلك المناطق كذلك من الأسباب التي ستؤدي إلى اصطدامها بالأشانتي.

حروب الأشانتي ضد البريطانيين:

مع بداية عام 1824م تحرك الأشانتي تجاه أرض الواسا، وعندما علم بهم القائد البريطاني 'تشارلد ماكرثي' وضع خطة لمواجهةهم، وفي 22 جانفي 1824 التقى الطرفان بالقرب من قرية 'بونساسو'، وكان جيش الأشانتي يضم أزيد من عشرة آلاف جندي، وهذا يفوق القوة البريطانية عددا، وهو ما أدى إلى انهزام البريطانيين في هذه المعركة التي قتل فيها القائد البريطاني 'ماكرثي'، كما مات في نفس اليوم ملك الأشانتي 'أوسي بونسو'.

وبعد نحو عامين عاود الأشانتي الهجوم على الحامية البريطانية الواقعة بالقرب من 'دودوا' لكن هذه المرة الكفة كانت لصالح البريطانيين، حيث استخدموا صواريخ 'كونجرف' التي حصدت الأشانتي، وجعلتهم يعتقدون أن البريطانيين يستخدمون البرق والرعد في محاربتهم.

ورغم الانتصار الذي حققه البريطانيين إلا أنهم اضطروا إلى تسليم مناطق نفوذهم في ساحل الذهب إلى لجنة من كبار تجار لندن حيث قدت لهم منحة تقدر بـ 4000 جنيه سنويا من أجل الحفاظ على القلاع والحصون، كما تشكل عام 1829 مجلس برئاسة 'جورج ماكلين' حي ثوصلها عام 1830، وبقي بها حتى 1834.

وأدرك 'ماكلين' جيدا أن النشاط التجاري لن يزدهر في ظل الخلافات والصراعات لذلك بدأ بسياسة جديدة، وأخذ يسعى لعقد اتفاق سلام مع الأشانتي، وسرعان ما اضطر ملك الأشانتي للاعتراف باستقلال دويلات الساحل.

وفي عام 1850 انفصل ساحل الذهب عن سيراليون وأصبحت له حكومة مستقلة لها سلطاتها التنفيذية والتشريعية، وفي نفس العام باعت الدنمارك حصونها إلى الإنجليز مقابل 10 000 جنيه، وفي نفس الوقت لم يستطع حلفاء 'ماكليين' تطبيق سياسته السلمية، فعادت الصراعات من جديد بين الأشانتي والتجار البريطانيين.

وكانت النقطة التي أشعلت الخلاف مرة أخرى عام 1862 هي قضية 'كويس جيانى' الذي عثر على كتلة من الذهب، وبدلاً من أن يسلمها إلى ملك الأشانتي، هرب بها إلى قلعة الإنجليز، فطلب ملك الأشانتي 'كواكو ديو الأول' من حاكم الإنجليز إعادته إلا أن الحاكم رفض ذلك.

وبناء على ذلك أرسل حاكم الأشانتي قوة عسكرية إلى الساحل، وتمكنت هذه القوة من هزيمة الفانتي وحاصروا القلاع البريطانية إلا أنهم أصيبوا بوباء الدوستناريا الذي مس حتى الجنود البريطانيين.

وفي عام 1863 تجددت الاشتباكات مرة أخرى في قلعة المينا واستطاعت القوات البريطانية تخليص القلعة من يد الأشانتي، وما بين 1863 و 187 كانت كل المعارك تقريباً لصالح البريطانيين؛ مما اضطر حكام الأشانتي إلى عقد اتفاقية 'فومينا' في 14 مارس 187 مع الإنجليز، والتي تنص على قيام سلام دائم بين ملكة إنجلترا وملك الأشانتي وكل شعوبه، كما يتعهد ملك الأشانتي بدفع مبلغ خمسين ألف (50 000) لوقية من الذهب كتعويض عن المصاريف التي صرفتها جلالة الملكة في الحرب الأخيرة، ودفع 1000 لوقية بعد ذلك.

وفي البند الثالث يقر ملك الأشانتي بعدم فرض سيطرته على رؤساء دنكيرة، وواسني، وأكيم، كما يقر بعدم ادعاء حقوق السيادة على 'المينا' أو أي منطقة كانت تحت السيطرة الهولندية على الساحل، ومما جاء في الاتفاقية أيضاً هو حرية التجارة بين الأشانتي والقلاع البريطانية.

وبتحليل هذه المعاهدة نجد أن معظم بنودها هي انتصار لبريطانيا على مملكة الأشانتي ومحاصرتها من كل الجوانب، والحد من نشاطها التجاري على الساحل.

وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح الخلاف يدب داخل المملكة، وبدأت الولايات الشمالية بالاستقلال عنها حيث أعلنت كل من كوفوكو وبكواي الحرب على كوماسي، وكانت كل هذه الأمور مقدمات طبيعية لإعلان الحماية على المنطقة.

وفي حدود عام 1881 أبرمت الأشانتي اتفاق سلام آخر بينها وبين الإنجليز يقضي بدفع 1200 أوقية لحساب ملكة بريطانيا، وخضوع المملكة لحمايتهم بعد ذلك.

وما بين 1885 و 1890 كانت الأشانتي قد انهارت وأصبحت مجرد محافظة تحت الحماية البريطانية.

مملكة بوغندا (Buganda)

المحاضرة السادسة

مقدمة

أُعتبرت مملكة بوغندا واحدة من أقوى الممالك التي قامت في منطقة البحيرات الكبرى، وبالتحديد داخل البلاد التي تعرف اليوم بأوغندا، وبرز صيتها أكثر خلال القرن التاسع عشر، خصوصا في النصف الثاني منه، وتميزت بوغندا عن غيرها من ممالك الجوار في هذه الفترة بالذات نتيجة التنظيم الجيد في مختلف مناحي الحياة خصوصا السياسي والإقتصادي منها، إلى جانب توسع رقعة المملكة، علماً أنها تقع بمنطقة منبع نهر النيل، وشمال بحيرة فيكتوريا مما يعني أنها تحتل موقعاً استراتيجياً أهلاًها أن تلعب الدور الرئيسي في المنطقة، إلى جانب ما قام به الملك موتسا الأول من دور في الحفاظ، والتقدم بالمملكة في ظل المخاطر التي كانت تحيط به من جهة أخرى.

وبرزت حنكته في التعامل مع الأجانب، وفي مقدمتهم المسلمين العرب والسواحليين القادمين من شرق إفريقيا، والمصريين القادمين من الشمال، ومن بعدهم الأوربيين الذي قدموا إلى المملكة بعد استكمال المستكشف ستانلي لمهامه في المنطقة، حيث جاءت مجموعة كبيرة من أعضاء البعثتين البروتستانتية البريطانية، والكاثوليكية الفرنسية، فما كان من الملك موتسا الأول إلا أن يلعب دور الدبلوماسي المحنك لتجنب ضياع مملكته، وكسب حلفاء جدد قصد تقوية نفوذه أكثر في منطقة البحيرات.

قيام مملكة بوغندا:

تُعتبر مملكة بوغندا من أكبر الممالك السياسيّة في دولة أوغندا، وهي تحتلّ الجزء المركزي (الأوسط) لأوغندا، وتُشغل بذلك أكبر مدينة في البلاد (كامبالا) العاصمة السياسيّة للبلاد اليوم، ويُقدّر عدد سكانها حالياً بنحو 1.5 مليون نسمة، أي بنسبة 17% من مجموع السكان حسب إحصائيات 2017، وسكانها يمثلون أكبر مجموعة عرقية في البلاد، ويتكلم الناس بها لغة الغاندا، وتُسمّى اليوم بلغة اللوغندا (Luganda)، وهي منتشرة على نطاق واسع في البلاد.

تقع بوغندا في الجزء الشمالي الغربي من بحيرة فيكتوريا، تحدّها من الجهة الشرقية مملكة بوزوغا (Busoga) ومن الجهة الشمالية الغربية مملكة بانبيورو (banyoro) أمّا من الغرب، فتحدها مملكة تورو (Toro) وأنكول (Ankol)، ويشغل إقليم بوغندا حوالي 25000 (خمسة وعشرين ألف) كم²، وهو من أخصب الأقاليم في منطقة البحيرات العظمى، وتتكون بوغندا من أكثر من 52 اثنية عرقية، أكبرها هي 'الباغندا' التي تمثل 75% من نسبة السكان فيها.

يعود أصل قبيلة بوغندة إلى قبائل "البانتو"، التي ارتحلت من وسط إفريقيا، وبالضبط من منطقة خليج "بيافرا" في الحدود بين الكمرون، ونيجيريا في أزمنة قديمة (ما بين القرن 10 و 6 ق م تقريبا)، وعندما جاءت موجات من الغزاة الحاميين قادمين من شبه الجزيرة العربية عن طريق القرن الإفريقي امتزجوا مع هؤلاء البانتو فأصبحوا يُسمون بالبانتو الشرقيين.

وبعد أن اكتملت هجرات الباغندا استوطنوا في الشمال من بحيرة فيكتوريا، في شكل مجموعات تربطها القرابة، لكن تحت التبعية للبانويرو، وبدأت في حدود عام 1150م تظهر إحدى الشخصيات من منطقة جبل ماسابا (Masaba) يُعرف بـ 'كاتو كنتو' (Kato Kintu)؛، حيث قام هذا الأخير إلى جانب قواته التي كان يقودها إلى دخول بوغندة، واغتصب العشيرة الحاكمة، ونصب نفسه حاكما عليها وبذلك أصبح لبوغندة أول ملك يعرف في لغة الغاندا بـ 'الكاباكا' (Kabaka)؛ أي الملك، وعلى الرغم من ذلك لم يعمل 'الكاباكا كنتو' على إلغاء قيادة العشيرة؛ بل عمل على قطع سلطتهم السياسية، وترك لهم الدور التقليدي للحكم في عاداتهم، وتقاليدهم في حين احتفظ هو لنفسه بالسلطة السياسية.

وقبل القرن التاسع عشر بُوُقِتِ طويل كان الباغندا دائماً موضوع إعجاب بالنسبة للبانويرو' بحكم التفوق الذي كانت تعرفه، ولكن بعدما بدأ الضعف يدبُّ في مملكة 'بانويرو' أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت بوغندة كمنافس قوي لها، وسيتحول ذلك التفوق من البانويرو إلى بوغندة؛ لعدة أسباب أبرزها، التجانس الكبير لسكانها، والنظام السياسي المركزي، إلى جانب فعالية المؤسسة العسكرية.

إن بروز مملكة بوغندة، وتفوقها على 'البانويرو' كان باعتمادها أكثر على نظرية الموزⁱⁱⁱ، في أغلب الأحيان، حيث صار إقتصادها كُله مبنياً على إنتاج هذه المادة^{iv}، وهذا لإشتغال أغلب الناس فيه، خصوصا فئة النساء منهم، والباقي في الخدمة العسكرية، ويؤكد هذا القول كذلك المؤرخ هنري ميدارد Henri Médard الذي يشير إلى أن العديد من المجتمعات التي تحيط ببحيرة فيكتوريا على غرار بوغندة كانت تستند إلى زراعة الموز لكن ليس بالحجم الذي كانت عليه مملكة بوغندة.

التنظيم الإداري لمملكة بوغندة:

التنظيم الإداري لبوغندة هو الجانب الذي لفت انتباه الكثير من ممالك الجوار، كروندا، وبورندي، والبانويرو، وكذا الجغرافيين، والتجار الأجانب، وحتى المبشرين الأوربيين البروتستانت، والكاثوليك فيما بعد، وهذا للتنظيم الجيد والمتسلسل في هَرَمِ السلطة، ولم يمثل الباغندة مُجتمعا بدائيا فحسب، وإنما كانت لهم حضارة خاصة على رأسها الملكية المطلقة، وهي مصدر الحكم، والدين لأبناء القبيلة؛ ولذلك فإنها كانت ملكية مقدسة في نفس الوقت، ويُرجع (سليجمان) مظاهر التحضر، والحضارة عند الباغندة إلى نظام الحُكم المركزي المُتقدم نتيجةً للمؤثرات الحامية التي وفدت إلى هذه المنطقة منذ حوالي عشرة قرون.

يُعرّف الملك عند الباغنده بـ 'الكاباكا'، ويعني: الصياد الماهر، ويُعرف أيضا بـ 'ساباساجا' (Sabasaja)، والذي يعني الأفضل، والأقوى بين كلّ الرجال، وفي كل شيء، كما يُعرف أيضا بـ 'سابالانغو' (Sabalango)، ويعني والد الجميع، وفي عهد الملك 'موتسا الأول' كان 'الكاباكا' على رأس كلّ شبكات الحُكم، بحيث أنّه هو من يحكم؛ أي 'كيفوغا' (Kufuga)، وبمعنى أدقّ هو، رئيس الجيوش والعُدل، والإدارة، أشار الرحالة 'سبيك' Speke^v بأنّ الباغنده كانوا ينظرون إلى الملك موتسا الأول (1856م - 1884م) كالإله، ويكتب 'Gale' عن هذا الأمر، فيقول: "بأن ملوك بوغنده كان يُنظر إليهم على أنّهم آلهة، ولذا كان الكاباكا يأكل دائما بمفرده، وسراً لألوهيته".

وبدوره الملك (الكاباكا) لا يتخذ في كثير من الأحيان قراراً إلا بعد الاستماع إلى رأي المجلس المحلي، أو البرلمان، والمعروف بـ (اللوكيكو)، بحيث أنّ الجزء الأكبر من أعمال الملك السياسية تدور حول اجتماع اللوكيكو الذي يجتمع فيه مع الشخصيات الكبيرة في الحكم، أو ممثليهم، فهو يجتمع تقريبا كلّ يومٍ، ودون جدول زمني محدّد.

ويتكون أعضاء حكومة الكاباكا من 12 رئيساً، يُعرفون باسم 'سازا' (Saza)، أو 'أمباسازا' (Abamasaza)، فيهم اثنان في مرتبة أعلى هما: 'الكاتيكيرو' (رئيس الوزراء)، و'الكيمبيغوي' Kimbugwe (الحبل السري للملك، وحارس ثروته)، ولا توجد مناطق خاصّة بهاذين المسؤولين يحكمانها؛ بل عملهما كلّهُ داخل القصر، عكس الملك الذي له عقاراتاً، وممتلكاتاً أخرى في كلّ منطقة.

وخلال عهد الملك موتسا الأول (1856-1884م) كانت البلاد مقسّمة إلى عشر مناطق كبرى تُعرّف بـ 'سازا' (Ssaza)، كلّ منطقة تُحكّم من قِبَلِ رئيسٍ يُعرّف بـ 'أماسازا' (Amasaza)، وتنقسم كلّ منطقة 'سازا' بدورها إلى عددٍ متغيّرٍ من العشائر تعرف بـ 'غومبولالا' (Gombolala)، وتنقسم هذه الأخيرة إلى فروع تُسمّى بـ 'كيولو' (Kyolo)، التي تنقسم بدورها أيضا إلى وحدات صغيرة بحجم القرية الصغيرة تُعرّف بـ 'ميروكا' (Miruka).

المحاضرة السابعة

التنظيم الاقتصادي لمملكة بوغندا:

طوال القرن التاسع عشر شكّلت الملكية تحديًا كبيرًا بالنسبة للأشكال القديمة للسيطرة على الأرض، و'الباتاكا' (Bataka) كانت اسميًا فقط تدّعي ملكيتها على الأرض؛ لأنّ الملك أصبح يُسيطر على معظم الأراضي بواسطة رؤساء العشائر الذين تمّ تعيينهم من طرفه، وأصبح هؤلاء الرؤساء مثل الزبائن المَلَكِيِّين، وأغلب الأراضي أُعطيت إلى أعضاء العائلة المالكة، وخدم الملك، والرؤساء الإداريين الكبار المعروفين بـ 'باكونغو' (Bakungo)، يستغلونها لأنفسهم وهم عمال في مكاتبهم، وشكّل الرؤساء من رُتبٍ مختلفة قاعدة القوة للملك باعتبارهم لجان رقابة للملك.

إنّ تاريخ مملكة بوغندا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بزراعة الموز؛ ممّا جعل للأرض قيمة أكبر من أيّ وقتٍ مضى، وعلى مرّ المراحل التي مرّت بها مملكة بوغندا تبيّن أنّ المؤسسات الاجتماعية التي تعاقبت على المملكة كانت كلّها تجعل من الموز محور غذاءها الأساسي، ونشاطها الزراعي الأول، ولم يقتصر الأمر على مملكة بوغندا فقط؛ بل معظم سكان شرق إفريقيا، ومنطقة البحيرات كان هو غذاؤهم الرئيسي، وعبر أجيال متعدّدة قاربت الألف سنة، كما أنّ ثقافة هذا المجتمع تدور كلّها حول هذه الزراعة، فهو يُستخدم في جميع الأوقات، وفي جميع مجالات الحياة، حيث تُستخدم ثماره للغذاء، وأزهاره للطقوس، والأوراق للتغليف، وصنع المظلات، وبشكلٍ عام يُمكن القول أنّ الموز هو مركز ثقافة الباغندا.

وعلى غرار زراعة الموز تعتبر مملكة بوغندا من أهمّ المناطق تربيةً للماشية؛ لوجود مراعي كبيرة في العديد من أجزاء المملكة، والمناطق التي كان يُفضّلها الرعاة هي تلك السهول الطويلة التي تتخلّلها برك الماء المالحة، والعشب الذي ينمو في هذه السهول هو عشبٌ قصيرٌ على الرغم من وجود مناطق أخرى ينمو بها عشبٌ خشنٌ، وكلّما تمّ رعيّ تلك الأعشاب، إلّا وعادت للنمو مرةً أخرى.

كان ملوك مملكة بوغندا، ورؤساءها لهم رعاة خاصون من قبيلة 'الباهيما' (Bahima)، وللملك فُطعانًا من الماشية يمكن عدّها بالألف رأس، إلى جانب الرؤساء الذين يملكون أيضا قطعان لا تقلّ أهميةً عمّا يملكه الملك، و باقي الفلاحين لهم أعداد متفاوتة منها، وليس بالعدد الكبير، وهذا خوفًا من طمع الملك، أو الرؤساء في الاستيلاء عليها، هذا إلى جانب الأبقار التي تعتبر كذلك ثروة كبيرة لدى مجتمع بوغندا، واستعملت أيضا كوحدة نقدية يتم من خلالها تحديد أسعار المنتجات.

الصناعة: تعتبر الصناعة من أهم القطاعات التي ركزت عليها بوغندا خلال القرن التاسع عشر، وبالخصوص الصناعات التي تتعلق بالقصر الملكي واحتياجاته بالإضافة إلى أدوات الحرب والدفاع عن المملكة.

ومن أبرز الصناعات هي الصناعة الحديدية حيث بدأت في مملكة بوغندة بطريقة بدائية، وفي وقتٍ مبكر، ولا يمكننا تحديد زمن بداية استعمال الحديد بدقّة، وأولى الأدوات التي أُستعملت كانت المِخزفة، والرُمح كأداة حربية، ويعتقد البعض أنّ هذه الأدوات جاءت لأول مرّة من مملكة 'بانيورو' (Banyoro)، كما أنّ المناجم التي يتمّ استخراج مادة الحديد لم تكن متوفرة في مملكة بوغندة؛ لأنّ المناطق الغنية بهذه المادة كانت ما تزال لم تُضمّ بعد للملكة، وما وُجِدَ منها هو قليل.

وعلى غرار الصناعة الحديدية تعتبر صناعة قماش لحاء الأشجار من أعم الصناعات، ويعرف هذا القماش باسم 'الباركلوث' (Barckloth)، ويعتبر هذا الأخير من الألبسة الرئيسية عند الباغندة، هذا إلى جانب بناء الزوارق التي تدخل في النشاط التجاري في منطقة البحيرات حيث المسطحات المائية عديدة.

والى جانب ذلك برع سكان بوغندة في صناعة الطبول، وهي متعددة بتعدد مجالاتها، حيث نجد الطوب الملكية، طبول الحرب، طبول تولية الملك الجديد، طبول العشائر.

التجارة:

كانت التجارة في منطقة البحيرات الكبرى ولا سيما تجارة الملح والذهب رائجة في العديد من ممالك المنطقة، وهذا بفضل وجود شبكات واسعة للملاحة في النيل ومختلف بحيرات المنطقة كتتنجانيقا، كيفو، إدوارد، جورج، ألبرت، كيوجا، فيكتوريا، بالإضافة إلى الطرق البرية التي كانت تربط بوغندة بالمناطق البعيدة حيث كانت بوغندة تصلها ثلاث طرق رئيسية واحد جنوبي قادم من زنجبار عبر أوجيجي (Ujiji)، وتابورة (Tabora)، إلى غاية بوغندة، والثاني شرقي قام من مومباسا (Mombasa) بساحل شرق كينيا، والثالث شمالي يمر عبر وادي النيل قادم من السودان.

المحاضرة الثامنة

الحياة الاجتماعية في مملكة بوغندة:

ويستخدم الباغندة مثل غيرهم من الشعوب البدائية الأخرى نظاماً خاصاً تتحدّد على أساسه رابطة القرابة، فالولد منذ صغره يتعلّم أنّه عُضْوٌ في ثلاث مجموعات هي: العائلة، الأسرة، والعشيرة، وعن طريق هذا النظام التصنيفي تتّضح روابط القرابة، فتبدو واسعة، أو ضيقة، ويميز الباغندة جيّداً بين الأعضاء من عائلاتهم الخاصّة، والأقارب الآخرين من عائلات أخرى، حيث يُعلّم الباغندة أطفالهم منذ الصغر المسافات القرابية، والتي على أساسها تتحدّد قواعد الميراث.

وهبوط النسب من جانب الأب يعني، ذلك أنّ كل طفل يعود للأب، أو لعشيرة الأب، وعندما تزوّج البنت إلى عشيرة أخرى، ثمّ تُطلّق، ويعود معها الأبناء يقوم أعضاء العشيرة في النظر في القضية، ويُعالجونها بعدالة، حيث يُعلّم أبنائها في الطفولة على احترام عشيرتها، لكن عندما يكبروا يتبنّون عشيرة أبيهم.

ومن عادات الباغندة أن لا يتزوج رجل من عشيرة أمّه، ويعتبر ذلك محرماً في اعتقادهم؛ إذ ذلك فيه فُزب العلاقة مع الأمّ، إلى جانب ذلك لا يمكن أن يقيم رجل علاقة زواج مع بنات أخوات أبيه (بنات عمّاته)، أو بنات إخوة أمه (بنات خاله)، كما يُحرّم عليه الاقتراب منهن، أو تسليمه أي شيء، ويعتقدون في ذلك أنّه إن أخذ شيئاً من أيديهن يمكن أن يُصاب بمرض، أو تصبح يده ترتعد.

وعند اختيار الزوجة الرجل كان لزاماً عليه أن يكون حذراً بأن لا يتزوج من ضمن الدرجات المُحرّمة للعلاقة، والرجل لا يمكن أن يرى عمته، ويتكلّم معها وجهاً لوجه بعد الزواج، فلا بدّ عليها أن تُغطّي وجهها، وإذا تقابلت المرأة مع صهرها في الطريق، فلا بدّ عليه أن يُعطّيها الطريق، وينعطف هو في طريق آخر، وإذا جاء إلى البيت لا يدخل للبيت، ولا يُسمح له بتكليمها، إلّا بمسافة معينة

العائلة، وخصائصها:

في صميم المنظومة الإجتماعية، والاقتصادية لمجتمع الباغندة كانت العائلة تتمثل في رئيس العائلة، وهو ذكّر، وزوجته، أو زوجاته، وأطفالهم، ومن حين لآخر كانت العائلة تتضمّن كذلك أطفالاً لأحد الأقرباء، أو نسبٍ آخر، قد أرسلوا هناك لتربيتهم، أو البعض الذين فقدوا آبائهم كالمسنّين مثلاً، أو النساء الأرمال، أو الأخوات المُطلّقات من أزواجهنّ كلهنّ يعنّ إلى أقربائهنّ، وإلى جانب ذلك عاش مع العائلة العبيد، والحدّم المحليون، وبقيت العائلة على نفس الحال حتّى بداية الفترة الاستعمارية.

إنّ نماذج التصرف الإجتماعي الصحيح دفع الشباب نحو الزواج، وأسّسوا لأنفسهم عائلاتاً، والذكور من الشباب يتمّ تشجيعهم على الزواج من قِبَل شيوخهم؛ لأنّهم يرون أنّ الزواج هو الخطوة

النهائية إلى الرجولة، أو إلى الأنوثة، والرجال، والإناث الغُزَّاب يُحْتَقَرُونَ في مجتمعهم، ويوصفون بِسَيِّئِي الحظ من جهة، ومن جهة أخرى يُعتبر الرجل البالغ من غير الطبيعي أن يعيش مع أبويه، ويعدُّ ذلك حرامًا في مُعتقداتهم، ويُعرف ذلك بـ 'أوبيك' (Obuke)؛ لذلك تكاد تكون الأسر الكبيرة غير موجودة في مملكة بوغندا.

وعندما يتوفى رئيس العائلة يُخلف عادةً من قِبَل ابنه، أو الأخ حيث يحمل موقعه، وإدارة شؤون ممتلكاته، ويرعى زوجاته، وأطفاله، وتقسيم العمل عند عائلة الباغندا مثل أيّ عائلة أخرى في إفريقيا، فكان مألوفًا أن الزوج يمنح الحديقة للزوجة من أجل خدمتها، حيث تعتني بها قصد الحصول على الثمار من أجل غذاء أُسرتها، خصوصا أشجار الموز الذي يعتبر الغذاء الرئيسي لهم، وكذا من أجل صنع الخمر لزوجها، وكذا الحصول على ألياف الأشجار من أجل صنْع القماش المعروف بـ 'الباركلوث' (Barckloth).

تربية الأولاد:

يرعى شعب الباغندا كثيرًا تربية الأولاد، حيث يعلمونهم منذ صغرهم على احترام، وتقدير رؤسائهم، وسرعان ما يُفكرون في إدخالهم على أسيادهم، من أجل تقديم أشياء لهم حتّى، ولو كانت بسيطة، وتعليمهم مراسيم الدخول كالانحناء إلى أسيادهم.

ومن عادات الباغندا أيضًا أنهم يُرسلون أولادهم إلى أقاربهم، حتّى يتدربون على مجالات الحياة المختلفة، واكتساب الولد لمهارة عالية، ويُصبح يعتمد على نفسه في الكثير من الأشياء بعيدًا عن أهله، والنساء عندما يتربى أولادهنّ عندهنّ لا يسمحنّ بأن يُضرب أولادهنّ خاصّة من قِبَل أبائهم، لكن إن تمّ إرسالهم إلى أعمامهم لا يُمكن للأمّهات أن يعترضنّ على ذلك.

وعند بلوغ الفتاة سنّ الثانية عشر، وتسمّى هذه الفترة بـ 'Ambeesenga Gasuna' تأخذها الأم لتعيش مع الأخت الكبرى إذا كانت متزوجة، أو مع العمّة؛ لتشرح لها حقيقة الحياة، وهنا تتعرّف الفتاة على العادات الزوجية عند الباغندا، وعند بلوغها سنّ الثالثة عشرة، وبعد أن تكون قد أصبحت في عداد الفتيات الناضجات عليها إطلاع العمّة على كافة التغيرات التي تحدّث لها.

لباس الباغندة:

تختلف قبائل الباغندة بعض الشيء عن القبائل الأخرى، وهذا لإصرارهم على تغطية الجسم كله بالملابس، ولباس النساء عند الباغندة هو عادي جدًا، بحيث ترتدي النساء قُماش لحاء الأشجار 'الباركلوث' (Barckloth) في كل مكان، وبمرور الوقت صارت النساء، ولا سيما في العاصمة ترتديّ الأقمشة خاصّة بعد الانفتاح على التجارة الخارجية، ودخول السلع العربية القادمة من زنجبار، وبلاد السودان.

وبالرغم من أن الأولاد قبل بلوغهم سن المراهقة كانوا يسيرون، وهم عرايا، إلا أنّ البنات يرتديّ نغبة، أو منزرا تتدلى منه شرائح متناثرة من أوراق الموز، وبعد بلوغهن سنّ المراهقة كن يرتديّ ثيابا تلف أجسادهن، وتغطيها من الإبطين حتى القدمين.

أمّا بخصوص الرجال فهم يتبنون أسلوب لباسٍ أكثر عقلانية، حيث كانوا يرتدون كذلك ألبسةً عريضةً مصنوعةً أيضًا من قُماش لحاء الأشجار، وبألوان مختلفة حسب نوعية حصاد اللحاء، وبمرور الوقت أصبحوا يرتدون سراويلًا من القطن، أو سُترةً، أو قميصًا، وكثيرا ما تكون طويلة بيضاء، تسمى 'كانزو' (Kanzu) تصل إلى الكاحلين، وغالبًا ما يكتمل هذا اللباس بمعطف قد يكون مُطرزًا بالأحمر، أو بالأبيض.

وعليه يُعتبر لباس الرجال مناسبًا، ومعقولًا جدًا، فكلّ من الفتيان، والرجال يُلاحظ دوماً؛ لأنّ لباسهم جيد، وهم حريصون على إبقاء ملابسهم نظيفة، كما يرغبون في إرتداء الملابس المصنوعة من جلود، أو أشعار الماعز.

النظام الغذائي:

وبالحديث عن أنواع الأطعمة التي يتناولها شعبُ الباغندة تأتي في المُقام الأول وجبة الموز، التي لا تتطلب مهارةً كبيرةً في إعدادها، فهي بسيطة جدًا حيث يُعشر الموز، ويُوضع بداخل سلّة مُبطّنة بأوراق لمّدة، حتى يجف قليلاً ثم يوضع في قدر من الطين فوق النّار لمّدة، حتّى يكون بعدها مطهيًا دون أن يُضاف له الماء، وتقوم بعد ذلك المرأة بعجنه بيديها، وتقسّمه إلى أجزاء، وتضعه داخل أوراقٍ حتّى يتسنى للجميع أخذ نصيبه، وذلك باجتماع كامل أفراد الأسرة على كومة كبيرة منه، ويتناولونه مع بعض، وتعرف تشكيلة الموز هذه عند الباغندة باسم 'ماتوك' (Matooke).

وإلى جانب طعام الموز يُصنع كذلك خَمْرُ الموز، والذي يُنضج ببطء على نار قليلة، ويُستخدم في صنع هذا الخمر جميع أنواع الموز الحلو الناضج الذي يُزرع في مملكة بوغندة لهذا الغرض، يتمّ تحضيره من خلال تقشير الموز، ووضعِه في سلّة مع إضافة بعض الأعشاب، والتوابل، والسوائل

الأخرى؛ ليُخلط معه باليدِين، ويُترك بعدها لفترة حتّى يَخْمُر ليُصْبِح بعدها خمرًا، وعندما تكون الحاجة إلى كمية كبيرة منه، وليس المقصود بها للاستهلاك اليومي؛ بل للمراسيم، والاحتفالات يُوظّف مجموعة من الرجال لتحضيره، وفي كثيرٍ من الأحيان يلجؤون إلى عَجْنِه بأقدامهم نظرًا للكمية الكبيرة المُحضرة.

المحاضرة التاسعة

الحياة الدينية في مملكة بوغندة

1- الإسلام:

إستنادًا إلى كلِّ المصادر التي تناولت موضوع الإسلام في مملكة بوغندة فإنَّ هذا الأخير دخل في فترة حكم والد الملك 'موتسا'؛ أي الكاباكا 'سونا' (Suna)، وذلك قبل عدّة عقود من وصول الأوربيين، ورغم وجود اتصالات تجارية بين مملكة بوغندة، والساحل الشرقي لإفريقيا قبل الملك 'سونا' (Suna) إلا أنه لم يكن لتلك العلاقة التجارية تأثيرًا واضحًا فيما يخص انتشار الإسلام.

وتوجد ثلاث مسالك تسرّب عبرها الإسلام إلى منطقة بحيرة فيكتوريا قادمًا من جهتين، الجهة الشرقية عبر المحيط الهندي، والجهة الشمالية عبر السودان، وهي كالاتي:

(أ) الطريق الجنوبي، يبدأ من جزيرة زنجبار، والمدن الساحلية المواجهة لها إلى 'تابورا' (Tabora) في أواسط تنزانيا، ومن هناك يتّجه الطريق شمالًا إلى مملكة بوغندة أقوى الممالك في شرق، وأواسط إفريقية، وهي تمثل الأقليم الأكبر، والهام في جمهورية أوغندة الحالية، فهي المركز الرئيسي الذي تجّأوب، وتفاعل مع انتشار الإسلام خاصة في بلاط الكاباكا (الملك).

(ب) الطريق الشرقي: يبدأ من 'مباسا'، والمنطقة المحيطة بها، ويتّجه إلى الجزء الشرقي لبحيرة فيكتوريا، وإقليم 'بوسوغا' (Busoga)، والأقاليم الشرقية من أوغندا الحالية.

(ج) الطريق الشمالي: وذلك عبر النيل الأبيض، وجاء في رُكّابه الأثر الإسلامي القادم من السودان، ومصر.

وبالحديث عن تأثير التجارة في إدخال الإسلام إلى المناطق الداخلية للقارة الإفريقية، وبالضبط إلى منطقة البحيرات الكبرى ذكرت المصادر العُمّانية أنّ الفضل في ذلك يعود إلى مجموعة من التّجار العمانيّين نذكر منهم، سعيد بن محمّد العيسري، وحبيب بن سالم العيفي، وناصر بن سيف المعمرى، وعيسى بن عبد الله الخروصي، وعبيد الله بن سالم الخضوري الذين يعتبرون في مقدمة المستكشفين لدواخل إفريقيا قبل وصول الأوربيين، وقد لعب هؤلاء دورًا كبيرًا في تجارة العاج، والأقمشة، والخرز، وأدوات الزينة.

وأشار المغيري صاحب كتاب 'جهينة الأخبار' إلى هذا النشاط عندما ذكر: 'وممّا لا ريب فيه أنّ العرب العمانيّين من رعايا السيد سعيد هم الذين شيّدوا المراكز في داخلية البر الإفريقي للتجارة،

وسيطروا على طرقيها، وصاروا رعايا في هيئة سلاطين تحت سيادة سلطان زنجبار، وبنوا المستعمرات العربية، وجعلوها مركزاً لنشر الديانة الإسلامية .

وكما تمت الإشارة سابقاً أنّ بداية وصول الإسلام إلى دواخل إفريقيا كان بواسطة قوافل التجار العمانيين القادمين من زنجبار، والمدن الساحلية الأخرى، وذلك قبل منتصف القرن التاسع عشر، وعبر التسرب السلمي بدعوة قامت على الإقناع الذي يقوم به دعاة متفرقون، وقد توغل العمانيون تجاراً، ودعاةً إلى وسط إفريقيا، ووصلوا إلى مملكة بوغندة بفضل دعم حكومة آل 'بو سعيد' في زنجبار، وفتح طرق آمنة للقوافل إلى دواخل إفريقيا، فقد لاحظ المستكشف بيرتون عام 1850م أنّ التجار العرب كانوا يترددون على مملكة بوغندة منذ عشر سنين، كما كتب 'ستانلي' بعد ذلك أنّ عدداً من التجار العرب ظلوا مقيمين في المنطقة لمدة وصلت إلى عشرين سنة دون أن يرجعوا إلى الساحل.

وعلى الرغم من ذلك، ومن خلال المصادر المتاحة كذلك يصعب تحديد وصول التجار العرب بالذات إلى المملكة، ومع ذلك فإنّ معظم المصادر تشير إلى أنّ التجارة بين مملكة بوغندة، والمناطق الجنوبية، والساحلية يعود تاريخها إلى نهاية القرن الثامن عشر، حيث حفز السواحليون تجارهم للولوج إلى عمق البحيرات الكبرى، وبدوره الكاباكا (الملك) 'سونا' (Suna) هو الآخر دفع بتجاره للتعامل مع هؤلاء التجار السواحليين، والعرب، وذلك ابتداء من عام 1840م، وخاصةً التجار الذين يأتون عن طريق 'تابورة' في الجهة الجنوبية لبحيرة فيكتوريا القادمين من زنجبار .

وتتفق جُلّ المصادر المحليّة، والأجنبية بأنّ هؤلاء التجار العمانيين، ورحلاتهم، وما يتمّ فيها من تبادل للمنافع، والسلع كان يصحبه دائماً تبادلاً في الآراء، والأفكار ممّا أفسح المجال لانتشار الإسلام في أواسط إفريقيا، ولعلّ أهمّ الدعاة العمانيين الأوائل الذين كان لهم إسهاماً بارزاً في مجال نشر الإسلام في مملكة بوغندة الشيخ 'أحمد ابن إبراهيم العامري'^{vi} الذي كان يباشر دعوته مع تجارته؛ إذ يُعتبر نموذجاً رائعاً للداعية المسلم بفضل أخلاقه السامية، وشخصيته المؤثرة القوية، فقد وصل أول مرة إلى بلاط الملك (الكاباكا) 'سونا' (Suna) عام 1844م قادماً من زنجبار عن طريق 'أوجيجي'، و'تابورة'، ثمّ بحيرة 'تجانيقا' إلى أن وصل إلى مملكة بوغندة حيث تقابل مع ملكها.

2- المسيحية

نشاط المستكشفين في المملكة ودعوتهم للبعثات التبشيرية:

إنّ ما حصل من أحداث، وتطورات سياسية، وعسكرية في منطقة وادي النيل وشمال أوغندة مع بداية السبعينيات من القرن التاسع عشر، واكتشاف موتسا الأول للنوايا الحقيقية للوكلاء العسكريين

البريطانيين الذين يعملون لصالح الحكومة المصرية في بلاد السودان سواء 'غوردون باشا' أو 'صمويل بيكر'^{viii}، أو أمين بك' جعل موتسا يكون أكثر حذرا مع هؤلاء الأوربيين.

ومن جهة أخرى كان مجموعة المستكشفين الأوربيين وعلى رأسهم 'جون سبيك' وزميله المستكشف 'غرانت' قد أثبتوا في عام 1862 أن منبع النيل الحقيقي هو من بحيرة فيكتوريا في منطقة 'جينجا' Jinja، ومصبه هو بالبحر المتوسط بمصر، وعندما رفعا تقريرهما إلى الحكومة والهيئات الجغرافية البريطانية لم يقتنعوا بذلك وبقيت تراودهم شكوك في ذلك مما استدعى بالجمعية الجغرافية الملكية عام 1875 على إرسال المستكشف 'هنري مورتون ستانلي' للمنطقة وإثبات ما جاء به سبيك وغرانت، وبعد وصوله إلى المنطقة أثبت صحة ما جاء به هؤلاء.

وفي إطار زيارته لحل بعض المسائل الجغرافية وبرعاية صحيفتين 'نيويورك هيرالد' (New York Herald) و'لندن ديلي تلغراف' (Daily Telegraph) واصل سيره حتى دخل مملكة بوغندة حيث استقبله ملكها الكاباكا موتسا في قصره ورحب به ترحيبا كبيرا^{viii}، وقد أعجب ستانلي كثيرا لما رآه في بوغندة من مظاهر حضارية، وفي هذه الأثناء كان ستانلي على علم بما حصل بين موتسا والمسلمين القادمين من السودان فتحول بسرعة إلى مبشر حيث استغل إقامته في القصر الملكي لإقناع موتسا بضرورة مواجهة التهديد المصري وتقويض موقف الإسلام في مملكة بوغندة فراح يشرح كتاب الإنجيل والدين المسيحي للملك رغم أنه ليس مبشرا.

ومن جهته سأل موتسا المستكشف ستانلي هل بإمكان المعلمين الأوربيين المجيء إلى بوغندة قصد تعليم الناس معارف ومهارات جديدة لأن موتسا كان يطمح بأن يتعلم شعبه بعض المعارف والمهارات الجديدة حتى يتمكن من الدفاع عن بلاده خاصة من قبل المصريين أو أي أجنبي يرغبون في غزو بلاده.

نشاط الجمعيات التبشيرية في بوغندة

إن رسالة المستكشف ستانلي الشهيرة في صحيفة الديلي تلغراف رسمت صورة رومانسية وكبيرة للكاباكا موتسا في أوروبا، وذلك باعتباره كاباكا طاغية عظيم متلهف ومتشوق لسماع الإنجيل ونشره في جميع أرجاء مملكته، والواقع أن ذلك كان مختلفا تماما عما نقله ستانلي لموتسا وذلك ما سيكتشفه المبشرون بأنفسهم بعد وصولهم إلى المنطقة.

وفي بداية الأمر لم تلق رسالة ستانلي أي نجاح في بريطانيا وبالخصوص عند جمعية الكنيسة التبشيرية البروتستانتية^{ix} C.M.S وذلك لعد قدرة الجمعية على تعبئة أكبر عدد من المبشرين للقيام

بالعملية في بوغندة، ورغم ذلك وصل إلى بلاط موتسا الممثلان الأوليان للجمعية في 30 جوان 1877
تمثل في كل من 'شيرغولد سميث' Shergold Smith، و'ويلسون س.ت.' C. T. Wilson.

ونظرا لعدد الصعوبات والعراقيل لم يبدأ أي نشاط للتبشير قبل وصول البعثة الثانية رغم سماح
موتسا للمبشرين بالتبشير قرب القصر الملكي وزيارة القصر بانتظام واستخدام 'دالينغتون مافاتا' Mafata
Dallington كمتبرج لتعليمه (موتسا) وبعض الرؤساء والوجوه الأخرى في القصر، وتأخر بداية العمل
يعود إلى الشكوك التي كانت تراود الملك 'موتسا' أن بين المجموعة جاسوسا خاصة بعد سماعه عن
الكابتن 'غوردون' Gordon حاكم بريطانيا الذي يعمل لصالح الحكومة المصرية في السودان، وقد وضع
هذا الأمر في الرسالة التي كتبها 'شيرغولد سميث' Shergold Smith والتي يقول فيها: "...اليوم التالي
ذهبنا مرتين إلى القصر... بدأ مرتاب منا واستجوبنا حول 'غوردون'، وكان مطلوب منه إرهابنا، وتخويفنا
.... قلنا له أننا جئنا من أجل العمل..."

وعليه فقد وصل 'ألكسندر مكاي' Alexander Mackay في نوفمبر 1878، وبعد ثلاثة أشهر
(فيفري 1879) وصل كل من الدكتور 'ر. و. فالكين' R. W. Falkin، والقس 'ج. ليتشفيد' G.
Leitchfield والسيد 'بيرسون' Person الذي جاء عن طريق النيل.

ويمكن أن نثير تساؤلا عن موقف الحكومة البريطانية من إرسال البعثات التبشيرية هل كانت الحكومة
البريطانية بعيدة كل البعد عن هذه المسألة بسبب أن جمعية الكنيسة التبشيرية جمعية خيرية جمعت
تكاليف الرحلة من التبرعات الشخصية؟ أم أن الحكومة قدمت لهذه البعثات بعض المعونات الأدبية
والسياسية المالية.

ويجيب 'لوغارد' عن هذا التساؤل ويقول: أيدت حكومة صاحبة الجلالة إرسال البعثة وأعطت وزارة
الخارجية البريطانية خطابا للبعثة لتوصيله إلى موتسا، ونص الخطاب على أن المبشرين ليسوا وكلاء
للحكومة، وعندما ذهبت البعثة عن طريق النيل كان معها خطاب من وزارة الخارجية أيضا.

وعلاوة على ذلك فقد جذب كل من المبشرين الكاثوليك والبروتستنت في وقت وجيز اهتمام نشيط
من قبل الباغندة وخصوصا فئة الشباب منهم في القصر الملكي، حيث صار العديد منهم يترددون على
حلقات التعليم الخاصة بالمسيحية من أجل تعلم مبادئ القراءة والكتابة وأطلق عليهم اسم 'باسومي'
Basomi ومنهم كذلك المستفسرون والباحثون عن الموعظة، وهذا الاهتمام والتحول إلى الديانة المسيحية
لم تكن مستوحاة من الرسالة المسيحية فحسب بل نتيجة الرغبة في القراءة والحماية والرعاية الطبية
والتقدم.

ⁱ يرى المبشر الأنثروبولوجي جون روسكو أنّ كنتو (Kintu) يرجع إلى الأصل الحامي، وبذلك يؤيد روسكو رأي كلّ من 'ستانلي'، و'جونسون'، في حين يرى 'كزكانوسكي' بصعوبة تحديد الأصل السلالي لكننتو، لكنّه يميل إلى القول بأنّ كنتو، وأتباعه جاؤوا من الشمال، وأنهم ينتمون إلى قبيلة 'مادي' Madi السودانية التي توجد في شمال أوغندا، أنظر:

سيلجمان س. ج: **السلالات البشرية في إفريقيا**، ترجمة: يوسف خليل، مراجعة محمّد محمود العياد، مكتبة العالم العربي، القاهرة، 1959، ص 186.
ⁱⁱ الكاباكا عند سكان مملكة بوغندا معناه "الملك"، وهو من يتّأس السلطة، ويدير شؤون المملكة، وجميع ما يُحْصَل في المملكة لا بدّ أن يعلم به، وهو المسؤول عن حياة النّاس في المملكة، ومصطلح الكاباكا Kabaka يُستعمل في لغة الغاندا المعروفة بـ 'لوغندا' Luganda للتعبير عن المسؤول الأوّل في المملكة، أنظر:

لنتون رالف: **شجرة الحضارة**، ج3، ترجمة: محمد سويدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1990، ص ص 128، 129
ⁱⁱⁱ اهتمام بوغندا بمادة الموز راجع إلى تلاؤم الطبيعة والمناخ مع هذا الانتاج لذلك كانت هي أكبر المناطق انتاجا له،

^{iv} يذكر سليجمان في أسطورة تقول بأن كينتو عندما جاء إلى هذه المنطقة كانت معه بقرة ودجاجة وفرعي شجرة موز وبطاطا، وقد زرع فرع شجرة الموز في أرض قبيلة (غندا) والفرع الآخر في قبيلة نيورو، كما أعطى الباغندا الدجاجة والبانيورو البقرة ثم اختفى في الغابات مع بعض أعوانه، أنظر:
- سليجمان س. ج: المرجع السابق، ص 164.

^v اسمه الكامل، 'جون سبيك'، ويُعرف بالكابتين سبيك، أبحر في نهر النيل رفقة المستكشف بيكر بحثا عن المنابع الحقيقية لنهر النيل، وصل إلى بلاط الملك موتسا عام 1882م حيث استقبله في قصره، ورخّب به، وهو من رخص له بالإبحار في بحيرة فيكتوريا، أنظر:

– Mayanza. A. M. K : **Chronology of Buganda 1800 – 1907, From Kagwa's Ebika**, (The Uganda Journal), Volume 16, No 02, september 1952, The Uganda society, Kampala, 1952, p 149.

^{vi} هاجر والداه من عمّان إلى زنجبار خلال عهد السيد 'سعيد بن سلطان'، يقدر تاريخ ولادته بين عامي 1820م، و 1825م،
إلتقى به 'ستانلي' عام 1876م في 'كاراغوي' (Karagwe)، ووصفه بأنّه رجل ثري يسكن في منزل فخم أنيق يمتلك عدداً كبيراً من الماشية تقدر بـ 150 رأس من الأبقار، و 40 رأس من الأغنام، بالإضافة إلى 450 من أنياب الفيل (العاج)، و 100

من العبيد، وأنه متسامح جدًا مع عبده، ويعامل نسائه معاملة محترمة، ومن المرجح أنه توفي في أواخر عام 1885م، حيث قُتل على أيدي نفر من 'وانيانبو' (Wanyanbo)،

vii كان صمويل من الشخصيات الغنية، ومولعا بالترحال والتجوال قاد عدة أسفار إلى الشرق الأدنى ومصر، ألف كتاب عن رحلاته التي خاضها في البحث عن روافد النيل سماه : the Nile Tributaries of Abyssinia .

viii لم يكن ستانلي أول من دخل المملكة والالتقاء مع الكاباكا موتسا بل كان قد سبقه بنحو 13 سنة أي عام 1862 كل من سبيك وغرانت من أجل حل سر مصادر النيل، فكانا بذلك أول أوربيان يزوران بوغندة، وكان سبيك أول من تصور فكرة جعل مملكة بوغندة مركزا لنشر المسيحية في المنطقة، لكن لما عاد سبيك إلى وطنه لم يحرك أي طرف للمجيء إلى المملكة، أنظر:

- Viera Pawliková- Vilhanová : (Biblical), op. cit, p 201

ix تأسست بلندن عام 1799، وتعتبر أول الهيئات البروتستانتية الانجليزية التي اهتمت بالتنصير في إفريقيا الشرقية والوسطى، وفي 1818 تم تغيير اسمها إلى *Society for missions to Africa and the East*، أنظر:

- إلهام محمد علي ذهني: بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث. ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2009. ص 238.

المراجع:

- تاريخ إفريقيا العام المجلد السادس
- تاريخ إفريقيا المجلد السابع
- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم و شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر
- فيج دي جي: تاريخ غرب إفريقيا.
- سليمان يوسف: التنظيم السياسي والسوسيو إقتصادي لمملكة بوغندة، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله، 2020م